

عصمة الأنبياء في القرآن الكريم

(70) (حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْدُوا سِرَّ الرُّسُلِ وَطَنُوا أُنزَّهُمْ قَدَّ كُذِبُوا
جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ
الْمُجْرِمِينَ). (1) استدلال القائل بعدم وجود العصمة في الأنبياء بظاهر الآية قائلاً بأن
الضمائر الثلاثة في قوله: (وَطَنُوا أُنزَّهُمْ قَدَّ كُذِبُوا) ترجع إلى الرسل، ومفاد
الآية أن الرسل سبوا وأنبياؤه كانوا يندرون قومهم، وكان القوم يخالفونهم أشد
المخالفة، وكان الرسل يعدون المؤمنين بالنصر عن الكفرة والغلبة ويوعدون الكفار بالهلاك
والإبادة، لكن لما تأخر النصر الموعود وعقاب الكافرين "طن الرسل أنهم قد كذبوا" فيما
وعدوا به من جانب الكفرة من نصر المؤمنين وإهلاك الكافرين، ومن المعلوم أن هذا الظن سواء
أكان بصورة الإدعان واليقين أو بصورة الزعم والميل إلى ذلك الجانب، اعتقاد باطل لا
يجتمع مع العصمة. وإن شئت تفسير الآية فعليك بإظهار مراجع الضمائر بأن تقول: لما أخبرنا
العقاب عن الكفرة ظن الرسل أن الرسل قد كذب (بصيغة المجهول) الرسل في ما
وعدوا به من النصر للمؤمنين والهلاك للكافرين. وعلى هذا فكل جواب من العدلية القائمين
بعصمة الرسل على خلاف هذا الظاهر يكون غير متين، بل يجب أن يكون الجواب منطبقاً على هذا
الظاهر. وإليك الأجوبة المذكورة في التفاسير: الأول: أن الضمائر الثلاثة ترجع إلى
الرسل غير أن الوعد الذي تصور الرسل أنهم قد كذبوا (أي قيل لهم قولاً كاذباً) هو
تظاهر عدة من المؤمنين بالإيمان وادعواهم الإخلاص لهم، فتصور الرسل أن تظاهر هؤلاء
بالإيمان كان كذباً وباطلاً، وكأنهم تصوروا أن الذين وعدوهم بالإيمان من قومهم
أخلفوهم أو كذبوا فيما أظهروه من الإيمان. (2) _____ 1 . يوسف: 110. 2 . مجمع
البيان: 5 - 6 | 415، ط دار المعرفة ، بيروت.